زيارة الأربعين في العلاقات الدولية وحوار الحضارات

(نموذج العراق ولبنان)

الباحثة إيناس شريم

لبنان

الملخص

معركة هابيل وقابيل، بين الحق والباطل، معركة يومية، وكذلك كربلاء وقفة الحق ضد الباطل، ومن هذا نقول كل يوم عاشوراء وكل أرض كربلاء، فكل وقفة حق هي تأييد لكربلاء.

وإن أقل الولاء للإمام الحسين عليه السلام:

- ينبغي أن تقرأ وقائع عاشوراء بدقة وبالمقدار الذي جاء في كتب إبن طاووس والمفيد، وتبيان أحداثها وأهداف الإمام الحسين عليه السلام المتجسدة بكلماته الخالدة طلباً للإصلاح في أمة جدي، وقد قال: يا أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «من رأى منكم سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله فلم يغير عليه بقول ولا فعل كان حقاً على الله أن يدخله مدخله»[1].
- كما ينبغي التركيز على أهداف النهضة الحسينية وربطها بقضايانا المعاصرة. الإمام الحسين عليه السلام أعاد إحياء الإسلام والدين المحمدي صلى الله عليه وآله ويجب الإستمرار على نفس النهج الذي سلكه، ولقد برزت العديد من الحركات الإصلاحية النهضوية في عصرنا الحديث في سائر أرجاء الكون، باستخدام كربلاء والإستمداد من قوتها وعزيمتها، حيث تشحن الهمم والنفوس والطاقات من هذه الواقعة، والعمل على شاكليتها لمواجهة كل أشكال الطغاة والإستبداد الذين يظلمون الشيعة والسنة والمسيحية....

من هنا فإن من أهم الأمور الحرص والمحافظة على هذه المواكب والمآتم التي تجمع الناس إلى بعضهم البعض لما لها من دور نهضوي وأهمية في وحدة الموقف في مواجهة وتحدي الظالمين.

- عاشوراء الإمام الحسين عليه السلام، هي الطريق الذي رسمه لنا لإصلاح المجتمعات والنهوض بالأمم، فلو كنّا جميعاً كربلائيين بكل المعاني والمفاهيم لسارت حركة العالم نحو الصلاح بشكل أسرع، ومهدت الأرض لظهور صاحب الزمان عجل الله فرجه.

Visit the forty in international relations and dialogue of civilizations

(Iraq and Lebanon model)

Researcher Inas Shraim

Abstract

The battle between Abel and Qabil, between truth and falsehood, is a daily battle, and so is Karbala, the right stance against falsehood. From this we say every day Ashura and all the land of Karbala.

The least loyalty to Imam al-Husayn is:

You should read the events of Ashura accurately and in the amount that is mentioned in the books of Ibn Tawoos and the Beneficent, and to explain the events and objectives of Imam Hussein embodied in his eternal words for the sake of reform in a serious nation. He said: O people, the Messenger of Allah said: «Who saw you as an unjust, God is naktha to the covenant of God, and he did not change it by saying or doing anything that was really right for Allaah to enter into His entrance. "(1)

The focus should also be on the goals of the Renaissance and linking them to our contemporary issues. Imam al-Husayn has revived Islam and Muhammad's religion and must continue the same approach he has taken. Many reformist movements have emerged in modern times in the rest of the universe, using Karbala and deriving from its strength and determination, as it loads the minds, souls and energies of this incident. Its formality to confront all forms of tyranny and tyranny who oppress the Shiites, Sunnis and Christians.

Hence, one of the most important things to be careful and maintain these processions and mansions that bring people together because of the role of renaissance and importance in the unity of the situation in the face and challenge of the oppressors.

Ashura Imam Hussein, is the way he painted for us to reform societies and the advancement of nations, if we were all Karbalayany all meanings and concepts of the movement of the world towards goodness faster, and paved the ground for the emergence of time.

مقدمة

عند أول سهم غدر، إنطلق نحو معسكر الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء ومع دخول قرار التصدي للظلم والفجور إلى حيّز المواجهة المعلنة والمفتوحة، صارت كل كلمة وكل موقف، كل ذكر صلاة وجهاد ووداع وحادثة جرت في كربلاء. وضمن هذا الخط الذي رسمه الإمام الحسين عليه السلام تمثل علماً ومعلماً من أعلام الحق والعدالة والمقاومة والنهوض.

فمن دم الحسين عليه السلام وإشراقة وجهه وهو يكابد الموت وجلاوزة الطاغوت، ولدت شهادة الحياة. ومن يقين إيمان علي الأكبر عليه السلام بالحق الذي يمثله الإمام الحسين عليه السلام انبعثت أطروحة «أَوَ لسنا على الحق... إذن لا نبالي أوقعنا على الموت أم وقع الموت علينا»، ومن سبي زينب عليها السلام ومواقف العز التي أطلقتها من سرّ الإيمان واليقين بالله...ما رأيت إلا جميلاً، إنتفضت العقيدة والإرادة. ومن عطش الأطفال نبعت أنهار الحزن، ومن موقف أم وهب نستمد نصرة أهل الحق، ومن بأس العباس عليه السلام ولد الإيثار والوفاء في قلب كل مقاوم، ومن تراجع الحر عن الباطل برز الموقف، ومن حبيب الشيخ الطاعن في السن، ومن خوض جهاد قاسم ووهب،ومن تضحية نافع واستعداده للفداء بين يدي أبي عبد الله عليه السلام. ومن كل العبر والتأثيرات والمواقف التي لا تجف ولأجل أن تكون الواقعة رمزاً إلى دلالات لا تتوقف. كانت زيارة الأربعين وإحياء الأمر لما لها من دور ووظيفة وديمومة.. وقد ورد في القرآن الكريم لمثل هذا النهج «يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يُحييكُم».

كربلاء التي شكّلت منعطفاً تاريخياً في الشعب والجماعة، تلك المدرسة التعليمية التربوية الخالدة إلى الأبد التي تعلمنا شجاعة الجهاد والفداء.. تُعلمنا كيف نموت فنعرف بعد ذلك كيف نعيش ! لان من لا يختار طريقة موته لا يعرف طريقة حياته. جاءت زيارة الأربعين من الأوقات والأحداث التي برز فيها التدخل الإلهي بشكل واضح وجلَي، فالزيارة من الأيام التي تنير قلوب الناس بنور الواحد الأحد، النور الذي لا يقبل الظلم والذُل لأمته وقومه والذي لا يسكُت عن الحق، هذا النور الذي انبعث في قلب الناس منذ الواقعة، نور التحرر من الجهل والتخلف والتقاعس، وهو يقبل الإستمرار والديمومة بفعل الإحياء والزيارة التي توقظ في النفس كل عبر أيام الله.

أولاً: المعنى اللغوي والإصطلاحي للزيارة:

الزيارة، من الزَور، والزَورُ أعلى الصدر.

وزرت فلاناً: تلقيته بزَوري، أي بصدري، أو قصدتُ زَوره، أي صدره.

وزاره يزوره زوراً، وزيارةً، وزارةً: عاده، وزار فلانٌ فلاناً: مال إليه.

والزورة: المرة الواحدة.

ورجل زائر، وإمرأة زائرة، من قوم زُور، وزوَار، وزور. والأخيرة إسم للجمع.

والزَور: الذي يزورك، يقال: رجل زور، وقومٌ زور، وامرأة زور، ونساءُ زور، يكون الواحد والجمع والمؤنث والمذكر بلفظ واحد لأنه مصدر.

وقد تزاوروا: زار بعضُهم بعضَهم.

والتزوير: كرامة الزائر، وإكرام الزائر، وإكرام المزور للزائر، يقال زوَروا فلاناً: أي أكرموه، وقد زوَر القوم صاحبهم تزويراً، إذا أحسنوا إليه.

واستزاره: سأله أن يزوره.

وتطلق الزيارة ويُراد بها، عندما يبح عن حكمها، زيارة القبور غالباً.

وقد ورد في القرآن الكريم: «لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول»[٢].

إن يوم الأربعين هو اليوم العشرون من شهر صفر، وفيه وصلت عائلة الإمام الحسين عليه السلام إلى كربلاء، قادمين من الشام، وهم في طريقهم إلى المدينة المنورة. وسمي بـ«يوم الأربعين» لأنه يصادف مرور أربعين يوماً على استشهاد الإمام الحسين عليه السلام.

ثانياً: الزيارة وآدابها:

إن الزيارة نحو من أنحاء التقرب إلى الله سبحانه وتعالى، وهي تؤكد على طبيعة فهم وتعاطي الإسلام مع ما يقرّب إلى الله سبحانه وتعالى، ذلك أن الغاية المعنوية فيما يقرب إلى الله هي التي ينبغي أن تكون حاضرة ونابعة من تقوى القلب وحب الله، أي أن تكون تأدية الزيارة لمجرد أمر الله عز وجل، فالعبادة والطاعة لله، بحيث يكون إذا زار مع كثرة زائرين، فكأنه زار وحده دون الخلائق، فلا يكون ناظره وخاطره متعلقاً بغير رب العالمين، «وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين»[٣]. كما أن الشكل والأسلوب المعتمد شرعاً ينبغي أن يكون حاضراً في تأدية الزيارة.

ومن فضل هذه الزيارة كما روي عن أبي جعفر الطوسي عن مولانا الإمام الحسن العسكري عليه السلام أنه قال: علامات المؤمن خمس:

١- صلاة إحدى وخمسين.

٢- وزيارة الأربعين.

٣- والتختم باليمين.

٤- وتعفير الجبين.

٥- والجهر بسم الله الرحمان الرحيم[٤].

وحتى تستقيم الزيارة، فلا بُدَ أن تُغير من مواصفات الزائر النفسية والعقلية والأخلاقية، بل وأن تغير من قيم نظرته للوجود والحياة، كما تحدث تغييراً في علاقته مع الواقع، وسلوكيات علاقته بالواقع من حوله.

وإن إحياء الزيارة مناسبة شهادة الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وصحبه (رض) هو إحياء لدين الله سبحانه وتعالى. وقد ورد الأمر بأصل قيامة هذه الزيارة من قبل المعصومين عليهم السلام، فعن الإمام الصادق عليه السلام «أحيوا أمرنا، رحم الله من أحيا أمرنا».

وجاء في الحديث بمورد طلب بإحياء ذكرى شهادة الإمام الحسين عليه السلام في عاشوراء، بل إن وسيلة تأدية هذه الزيارة قد وردت في الأخبار والمواقف التي نقلتها سيرة النبي صلى الله عليه وآله، والأئمة الأطهار عليهم السلام. إذ ليس المقصود بـ«أحيوا أمرنا» إلا تلك الرسالة التي صدع بها رسول الرحمة محمد صلى الله عليه وآله رسول الرحمة، والأئمة الأطهار عليهم السلام. واعتماد أساليب التعبير التي حثَوا على إثارتها وتفعيلها بغية إحياء أمر الله، والتي ينبغي أن تكون معظمة بحيث تؤكد على مضمون التقوى في النفوس، ولا تفضي للتوهين بالزيارة أو التحلل من الإلتزام بها بل ينبغي أن تنضبط بجملة من الضوابط

الشرعية والعقلائية ليصدق عليها أنها أداء يشير إلى إتباع طريق الحق والعدالة والهداية، وإذا لحق أداء الزيارة ببعض الممارسات شوائب معينة فهذا لا يصح أن يكون سبباً في الحكم على أصل الزيارة ككل.

فعلى الحسينيين أن يعيشوا مشاعر التوبة إذ ليس في الآداب الإسلامية مقايضة بين الظلم والمظلوم، بل هي قرارٌ من قبل الظالم على تحسين وضعية علاقته بالمظلوم. فالمبدأ لا يقول أن الناس في الزمن الراهن يتحملون مسؤولية أخطاء قام بفعلها غيرهم في الماضي، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾[٥]، فإذا كان رد فعل في العمل على استنهاض كل المقومات للإلتحاق بركب قضية محقة وتجييش بكل الوجدان للثبات والإستقامة في سلوك درب تلك القضية، لأن القضية إذا امتزجت بالمظلومية صارت هدفاً إنسانياً سامياً، وصارت صراطاً عقائدياً توحيدياً.

فكل فرد في الإسلام يرتبط أولاً وبالأصل والأساس بالله مباشرة دون أية وسائط، وعندما يشعر بأنه بحاجة إلى معين وشافع فإنه يطرق باب أولياء الله متوسلاً بهم للوصول إلى الأصل. والإمام الحسين عليه السلام أعطى كل ما يملك لذا يعتبر معين الضعفاء في قضاء الحاجات. والإرتباط والتقرب بالزيارة متعلق بحب الله أولاً وحب الحسين عليه السلام ثانياً، أي لحب الله للحسين عليه السلام.

فإحياء أداء الزيارة ما هو إلا تحقيق للنهوض الإسلامي بإحياء الرسالة والعمل الجهادي لإحياء سنن العدالة والجهاد والإستشهاد للوصول الى حياة كريمة خالية من الذل والظلم والفساد.

فالزيارة ليست فقط الذهاب والمشي بل لها آدابها وأساليبها في الممارسة من تعظيمات الصلوات الخاصة والأدعية وقراءة نصوص الزيارة وقراءة القرآن الكريم، والإستشفاء بالحسين عليه السلام وشدة الحزن والبكاء والسلام على صاحب القبر ووداعه.

فمن أبرز الأمور المعنوية للزائر:

١. أن يزوره عارفاً بحقه عليه السلام محتسباً أمره إلى الله سبحانه تعالى، فعن أبي عبد الله عليه السلام «من أتى قبر الحسين عليه السلام زائراً له، عارفاً بحقه، يريد به وجه الله، والدار الآخرة غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر»[٦].

٢. أن يحسّن خُلُقَهُ بعلاقته بالناس، بحيث يكون من علامات تدل على حسن تأثير والولاء للإمام في أخلاق الزوار.

٣. أن يجعل من الزيارة تجديداً للولاء للرسول صلى الله عليه وآله وللأئمة الأطهار عليهم السلام، لما فيه رضاهم ورضا الإمام صاحب الزمان عجل الله فرجه، وذلك بالصدق والإخلاص والتهيؤء والإستعداد والجهوزية للإستشهاد لمثل هذه القضية التي استشهد الإمام الحسين عليه السلام لأجلها، والتهيؤ للنهضة الكبرى المنتظرة على يد إمامنا الحجة عجل الله فرجه.

٤. أن يزور حباً وشوقاً ولهفةً، فعن الإمام أبي عبد الله عليه السلام «من أتى قبر الحسين عليه السلام تشوقاً إليه كتبه الله من الأمنين يوم القيامة»[٧].

كما أن أئمتنا الأطهار عليهم السلام لم يكتفوا بمجرد الدعوة والحث على الزيارة، بل هم قد مارسوا الزيارة بأنفسهم، كما فعل الإمام زين العابدين عليه السلام.

كما توضح رواية معاوية بن وهب منطلقات الزيارة والأهداف التي تحملها عندما استأذن

الدخول على أبي عبد الله الصادق عليه السلام فأذن له فوجده في مصلاه يصلي فلما فرغ سمعه يناجي ربه ويقول عليه السلام: اللهمَ يامن خصَنا بالكرامة، ووعدنا بالشفاعة، وخصَنا بالوصية وأعطانا علم ما مضى وعلم ما بقي، وجعل أفئدةً من الناس تهوي إلينا، إغفر لي ولإخواني وزوار قبر أبي الحسين عليه السلام الذين أنفقوا أموالهم وأشخصوا أبدانهم رغبةً في برَنا ورجاءً لما عندك في وصلتنا وسروراً داخلوه على نبيِّك وإجابةً منهم لأمرنا وغيظاً أدخلوه على عدونا، وأرادوا بذلك رضاك، فكافئهم بالرضوان واكلأهم بالليل والنهار وأخلف على أهاليهم وأولادهم الذي خلقوا بأحسن الخلق وأصحبهم وأكفهم شرَّ كل جبار عنيد، وكل ضعيف من خلقك وشديد، وشرَّ شياطين الإنس والجن، وأعطهم أفضل ما أمَّلوا منك في غربتهم عن أوطانهم، وما آثرونا به على أبنائهم وأهاليهم وقراباتهم.

اللهمَ إن أعداءنا عابوا عليهم بخروجهم، فلم ينههم ذلك عن الشخوص إلينا خلافاً لهم على من خالفنا، فارحم تلك الوجوه التي غيَرتها الشمس، وأرحم تلك الخدود التي تقلَّبت على حفرة أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وارحم تلك الأعين التي جرت دموعها رحمةً لنا، وارحم تلك الصرخة التي كانت لنا. اللهم إني أستودعك تلك الأبدان، وتلك الأنفس حتى ترويهم على الحوض يوم العطش الأكبر[٨].

وأيضاً هناك حديث يتناول مكان دفن الإمام الحسين عليه السلام وهو «الحائر»[٩].

عن أبي عبد الله عليه السلام: موضع قبر الحسين بن علي عليه السلام منذ يوم دفنه روضة من رياض أهل الجنة. وقال: موضع قبر الحسين عليه السلام ترعة من ترُع الجنة[١٠].

ويجب التأكيد على أن زيارة الإمام الحسين عليه السلام ارتبطت بزيارة أهله والأصحاب الذين استشهدوا بين يديه.

ثالثاً: تكوين الهوية الجمعية:

زيارة الأربعين هذه الظاهرة الفريدة، مناسبة تعتبر محطة للتزود بالقيم والمثل والنبل من أبرز الصفات التي تختص بالتطور والرقي للشعوب، كما أنها تشحذ الهمم والنفوس بالمعنويات التي تعتبر الغذاء الروحي لمواجهة التحديات والمشاكل، وهذا الغذاء يستمر معهم ويتحرك في دماء محبي الحسين عليه السلام ويدفعهم عند وجود أي ظلم أو طغيان، وإن ما نراه من حروب ونزاعات في المجتمعات وكيف إن فئة صغيرة تستمد القوة من هذا الغذاء وتندفع لمواجهة الطغاة والكفرة والمفسدين وتنتصر رغم قلة العدد والعديد. كما فعل الإمام الحسين عليه السلام في مواجهة الظلم والنفاق الديني والسياسي الذي كان يمارسه الحكم الأموي والتأسيس للوعي الإسلامي في حياة الناس الذين فتك بهم معاوية وأوصلهم إلى مرحلة الوعي المهزوم، وأقصد هنا بالوعي المهزوم، ذاك الوعي الذي يخنق أي قابلية واستعداد على مواجهة الواقع السيء، وخلق ظروف ومناخات نهضوية بديلة عن واقع التردي والإنحلال، بل يصل الوعي المهزوم إلى مرحلة فقدان الذاكرة التاريخية، والعقيدية، والتلبس بما يقدمه العنف والإرهاب النفسي والفكري لواقعة سلطة الجور والظلم، أي إخراج الأحداث من دائرة

العتمة إلى دائرة الوضوح في الصراع المفتوح أبداً بين الحق والباطل. ولأن السكوت عن يزيد ذاك الذي يرتكب الحرام جهاراً ونهاراً، صاحب العقلية المشبعة بالترف الجاهلي والثأر من رسول الله محمدﷺ، ودين الإسلام وهذا يؤكد على انتهاء الإسلام شكلاً ومضموناً. وخاصة أن الأمويين لن يتركوا الإمام حياً في مشروعهم القضاء على أصل الإسلام فكان لا بد من المواجهة الإستشهادية التي إن قتل فيها الثوار كانوا شهداء يشقون عهد نهوضي إسلامي واع وجديد، وإن إنتصروا فإنهم يؤسسون لفتح نهضوي يقوّم ما اعـوَجَّ من الدين والسياسة والأخلاق. وهذا يؤكد على أن هذه الثورة النهضوية الحسينية، لم تكن قبليةً واجه فيها بنو هاشم الأمويين، وإن عبَّر يزيد عن قراءة قبلية للصراع، وطلب السلطة حينما أخبروه بمقتل الإمام الحسينعليه السلام حيث قال:

ليت أشياخي ببدر شهدوا
جزع الخزرج من وقع الأسل[11]
لاستهلوا واستطاروا فرحاً
ولقالوا يا يزيد لا تشل
ما أبالي بعد فعلي بهم
نزل الويل عليهم أم رحل
لست من خندف إن لم أنتقم
من بني أحمد ما كان فعل
قد قتلنا القرم من أبنائهم
وعدلناه ببدر فاعتدل
فبذاك الشيخ أوصاني به
فانبعث الشيخ في قصد سيل
لعبت هاشم بالملك فلا
خبر جاء ولا وحي نزل[12]

فالإمام الحسينعليه السلام كان من أهم أهداف بثورته إلى الحفاظ على الهوية الإسلامية التي حاول طمسها الأمويون بالتزييف والترهيب. وقد رسمت نهضته الإستشهادية في الوعي الإسلامي وتأكيد على الإلتزام بالأمر الإلهي بسيادة العدالة والحق في الحياة، ورسمت المواجهات الدموية، الصورة والقدرة والعظمة، رغم قلة العدد والعديد، الروحية والمعنوية التي ينبغي أن تتحلى بها كل الحركات النهضوية الإسلامية. وقد قال عندما هدده أحدهم بالموت قالعليه السلام: «ليس شأني شأن من يخاف الموت، ما أهون الموت على سبيل نيل العز وإحياء الحق، وليست الحياة مع الذل إلا الموت الذي لا حياة معه».

أفبالموت تخوّفني؟!هيهات طاش سهمك، وخاب ظنك، لست أخاف الموت، وإن نفسي لأبكر، وإن همتي لأعلى من أجمل الضيم خوفاً من الموت، وهل تقدرون على أكثر من قتلي؟!

مرحبا بالقتل في سبيل الله، ولكنكم لا تقدرون على هدم مجدي، ومحو عزي، فإذن لا أبالي بالموت[13].

وهذه الأمور التي أفسحت طاقة هائلة على إحياء أمر الله رسوله محمدﷺ، وأمر الدين الإسلامي، وآل البيت الأطهارعليهم السلام. لذا الإحياء لزيارة المرقد الشريف (الإمام الحسينعليه السلام) وشهداء كربلاء هو إحياءٌ مجبول بدم الحسينعليه السلام وإيثار الصلحاء وجهد المجاهدين.

أيضاً لقدسية هذا المكان وخاصته، حيث تنزل الملائكة الذين يذكرون الله سبحانه وتعالى، ويزورون الإمامعليه السلام الحسين كما الأنبياءعليهم السلام، يصبح الزائرون في وضع ذهني وروحي يؤهلهم الإلتحاق بهذه القدسية

العظيمة في مسيرة الكدح نحو الله سبحانه وتعالى. كما يخلق عندهم رؤية الإنتماء الذي يولد الهوية الجمعية السياسية العقائدية للولاء، هذا التغيير في الأنفس والتشكيل الجماعي لهوية الولاء الحضاري المستمر.

رابعاً: تداخل الحضارات بفضل الزيارة:

أ- مفهوم الحضارة والثقافة الإسلامية:

اختلفت التفسيرات وتنوّعت في تحديد كلّ من معنى الثقافة والحضارة على حدة، فلم يُجمع الباحثون على معنى واحد لكلّ منهما، كما درج بعضهم على المزج بينهما، مُعتبراً أنَّ الحضارة بمعناها الأثنوغرافي (أي ذو الصلة بوصف شعوب العالم) هي كلٌّ مترابط يتضمن المعرفة والمعتقد والفن والأخلاق والقانون والعرف، وأية قدرات وعادات أخرى مكتسبة من الإنسان كعضو في المجتمع، فيما يرى البعض أنها نظام مستنبط تاريخياً من أشكال الحياة التي تميل لأن تكون مشتركة من قبل أفراد أو مجموعة، على أن يتضمن اللغة والتقاليد والعادات والمؤسسات والمعتقدات والقيم المحفزة وتجسيدها في أدوات مادية[٤١]. فالحضارة هي المرحلة الأخيرة للثقافة وهي قابلة للتراكم وغير قابلة للنكوص والتراجع، أما أجزاء الثقافة فإنها فريدة وشديدة القابلية للتغيّر ولا تقبل الزيادة، ومما يلاحظ أن هؤلاء الباحثين يميلون إلى تغليب الجانب المادي للحضارة[١٥].

من ناحية أخ لا يقتصر الخلط على مفهومي الحضارة والثقافة بل يتعدى إلى مصطلحي الحضارة والمدنية[١٦]، فتُعرف المدنية بصورة قريبة إلى الحضارة باعتبارها رقة المعاملة والسلوك المهذب الذي ابتدعه سكان المدن ويساعد على ذلك ما تقدمه الصناعة من وسائل الراحة والترف في الحياة، كذلك تفرغ بعض الناس للعلوم المختلفة والفلسفة في حين ينشغل الآخرون بالإنتاج المادي، في إشارة إلى الجانب المعنوي للحضارة[١٧].

ومن خلال هذا الاستعراض للمفاهيم المختلفة للحضارة يمكن أن نضع تعريفاً للحضارة بأنها الجهد المادي والمعنوي الذي خلَّفه لنا الإنسان في منطقة معينة من معتقدات دينية وأدب وفنون وعلوم وقوانين وعادات وتقاليد وآثار مادية من بناء وصناعات غيرها، أما المدنية فيمكن القول إنها تركز على المعرفة الحالية والتطور العلمي والمادي.

على هذه الأساس الذي يدمج بين الثقافة والحضارة يمكن تعريف النهوض الحضاري العام بأنَّه يتناول الجانب الثقافي والحضاري في آن معاً، بحساب أنَّ الثقافة تحتوي الحضارة، والنهوض الحضاري العام يعني النهوض بالواقع الثقافي على نحوٍ يتجاوز المكان إلى العالمية الثقافية والحضارية، وتبيان مدى التعامل مع الخصوصيات الثقافية في الدعوة لتكريسها أو تجاوزها[١٨].

من هنا نستطيع أن نقارب المسألة الثقافية باهتمام، وبحث عميق في العديد من المسائل الحضارية والمشاكل الكامنة فيها، وأهمّيَّة الدين في حلّها، خصوصاً أنَّ مشكلة الحضارة في العصر الحديث لا تخصّ شعباً من الشعوب فقط، بل إنّها تعمّ جميع الشعوب المتخلفة والمتقدّمة، وهنا ينبغي التركيز على الثقافة الحسينية والحرص على الانطلاق بها إلى الثقافة العالمية المُستندة لمفهوم التطور والتحوّل، والحراك الفكري والعلمي الذي يرفض مناخ

التقوقع والانعزال والتعصب، مُستلهمين من القرآن الكريم أُسس هذه الثقافة ومن الرسالة المحمدية ﷺ، والولاء لأهل البيت عليهم السلام.

فالكلام عن الثقافة الإسلامية من خلال محور الاهتمام الأساس، وهو الإنسان باعتباره الركيزة التي تكوّن المجتمع الذي بدوره يتطوّر ليؤسس حضارة لها وجود ملموس، تتفاعل مع الحضارات الأُخرى، وتُساهم في بناء الحضارة الإنسانية عموماً، فأنَّ الإنسان موجود عيني يختلف عن الموجودات العينية بحرية الاختيار، وهذا يدلّ على أنّ أفعاله تصدر عن تأصُّل وإرادة، ولو بصورة نسبية، وهو كائن اجتماعي يتفاعل تلقائياً مع بني نوعه، وهو يتأثّر إلى حدّ كبير بالموجودات الكونية المُحيطة به، وهي الطبيعة، وفوق كلّ هذا هو مخلوق لله خالق الكون والحياة، وتحكمهُ قوانينه وشرائعه بما لها من تأثير على علاقاته بالموجودات الأُخرى.

لذلك فإنَّ الفرد هو محور البناء الحضاري الإسلامي لكونه الأصل، بل مفتاح كلّ الأُصول لحقيقة أصل المُجتمع، وإنَّ تراجع الفرد وانزواءه وتقوقعه على نفسه ساهم في تراجع دور المجتمع الإسلامي بكلّ الأبعاد الفكرية والقيمية والإيمانية، ماساهم بدوره في تراخي مفاصل هذا المُجتمع، وفي تفكّك روابطه[١٩].

كما إنَّ الجانب الثقافي الإسلامي يرتكز على دعامتين هما:

الأُولى: المفهومات الإسلامية، ووظيفتها تكوين شخصية المُسلم عبر الأركان الثلاثة، وهي العقائد، والأعمال، والأخلاق، فالإسلام، ومن خلال هذه الأركان يجعل للمُسلم قاعدة فكرية تُعد أساساً لإيمانه وعبادته وحقوقه وواجباته ومُثُله الأخلاقية، وهذه المفهومات هي النقطة الأولى في الثقافة الإسلامية، وهي حجر الزاوية في بناء عقائد المُسلم وأفعاله وأخلاقه[٢٠].

الثانية: التعاليم الإسلامية، ومهمتها تزويد المُسلم بالثقافة في مُختلف أبوابها، فالعقائد والتشريع والتربية الخُلقية والأدب والفن والأمثال والقصص المُوجهة ملأت أفكار المسلمين وطوّرت عقولهم وهذّبت نفوسهم، وهذه الدعامة مُرتكزة إلى القرآن الكريم والسيرة النبوية الشريفة[٢١].

ب- الثقافة الإسلامية والحسينية:

أولاً - تعريف الثقافة الإسلامية:

يمكننا تعريف الثقافة بأنَّها تتضمّن أبعاداً متنوّعة ضمن دائرة الأفكار والتعاليم والعقائد التي خرج بها الإسلام وحددها القرآن الكريم، وتُشكّل الحياة العقلية للإنسان أحد هذه الأبعاد، بمعنى اكتشافات وإبداعات العلوم في مجالات التشريع الحقوقي، والفلسفة، والعلوم، والأخلاق، وسائر الآداب والفنون، ما يجعلها تنفتح على جانبين لا يخلوان من أهمية كبيرة، لكون أحدهما ينطوي على بُعد نظريّ، والآخر على بُعد عملي تطبيقي، ولكنَّ الأهمّ من هذا كله هو أنَّ تحديد مفهوم الثقافة على هذا النحو لا يرتبط بالتفسير الغائي للثقافة، بمعنى ما يجب أن تكون عليه، وإنَّما ينطلق التفسير لهذا المفهوم من واقعها العملي لدى الشعوب، ما يعني أنَّ ثمَّة اعترافاً

بخصوصيات ثقافية نابعة من طبيعة التجربة التاريخية وظروفها الناشئة.

غير أنَّ هذا الاعتراف المتضمِّن، في مفهوم الثقافة، لما هو خاصّ لا يعني التّجمّد والانغلاق في إطار هذه الخصوصية، وإلا فليس ثمّة دعوة منفتحة على ما هو عام وكُلِّيّ، خصوصاً لدى المفكرين والمصلحين الذين تزخر أفكارهم ومبادئهم بما هو إنساني عام.

إنَّ الثقافة بهذا المعنى تحتوي على عناصر مادية ومعنوية مختلفة، وينبغي التناسق والانسجام بين دعامتيها أي بين المفهومات والتعليم التي من خلالها يمكننا تحديد المعالم الرئيسة للثقافة الإسلامية المحمدية، وهي:

١. الربانية: وهي أنَّ الثقافة الإسلامية المحمدية، تربط بين السماء والأرض وتوصل المخلوق فرداً وجماعة بخالقه، فتتصف بالربانية والقوة وترضي بهذه الصفة جميع مشاعر الإنسان من دون أن تكون هذه الصفة حائلاً بين العقل والتفكير الموضوعي في الكون، وفي مختلف مجالات الحياة العقلية، فالكون كلّه بأوضاعه ومجتمعاته وأفراده خاضع لقانون العلّة العامة[٢٢].

٢. الثبات: فالثقافة الإسلامية المحمدية، ممتدة الجذور إلى الكون وخالقه، وهذا ما يُكسبها صفة الثبات والأبدية، وظاهرة الثبات تنعكس على الحقول الدينية المختلفة في العقائد والأحكام وفي الأخلاق، ولها أثرها في تحقيق الهدف الرسالي الذي يوجب الثقة في النفس والقوة في الإرادة والإرضاء للعاطفة اللانهائية في الإنسان، لكنّ هذا الثبات لا يعني جمود الفكر أو عدم اجتهاد الرأي[٢٣].

٣. الدينامية: إنَّ الثقافة الإسلامية تُحرك الإنسان حركة دائمة نحو التَّقدُّم في مختلف مجالات التطوّر العقلي وتتحمّل كلّ جديد، وكلّ معرفة بقلب مشتاق، وتعتبرها سلوكاً إلى الله ومعرفة له وكمالاً للإنسان، وهي مرتكزة إلى حرية التصرُّف للإنسان[٢٤].

٤. الوحدة: ومعنى هذا أنَّ الثقافة الإسلامية في أي حقل تربط بين الأنشطة الثقافية في مختلف الحقول في وحدة منسقة تعكس في سمع المثقف السيمفونية الكونية، وتسبيح الموجودات عليها[٢٥].

٥. الشمول: أحد مميزات الثقافة الإسلامية هي الشمول وأتساع دائرة الموضوعات الداخلة فيها والمساحات التي تشغلها والتراث الثقافي الخطير الذي خلفته الحضارة الإسلامية لهو الدليل على ما كان يتصف به الفكر الإسلامي في عصوره الإسلامية[٢٦].

إنَّ هذه النظرة التي تهتم بالعناصر والأجزاء المكونة للثقافة الإسلامية الطابع المادي والروحي والعقلي والإجتماعي تتوزّع بين طبقات ومستويات تشمل العبادات والقيم والتربية والبيئة والعلاقات والآداب وغيرها.

ثانياً- الثقافة الحسينية:

إن الثقافة الحسينية هي ثقافة الحق، والموقف الإنساني الجليل الرافض للظلم تُعد ذات الثقافة الإسلامية الصرفة، إنما كانت بمرحلة حاول فيها الأمويون أن ينحرفوا بالمجتمع عن الخط الذي رسمه النبي محمدﷺ وأهل البيت الأطهارعليهم السلام لثقافة

المجتمع، فجاء ترسيخ الإمام الحسين عليه السلام لهذا الخط المحمدي الأصيل، من إنطلاق رسالة القرآن، وتنبيه الناس من الغفلة عن هذا الطريق. هادفاً بخروجه لمواجهة الطغيان عملاً يصب في إصلاح الأمة والحفاظ على الدين الإسلامي. وقد قال «إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي».

هذه الثقافة تتنامى بالإندماج بين المجتمعات قالباً وقلباً، لما تحمله قضية الإمام الحسين عليه السلام من رمزية وثقل قيمي هائل، هو موقع قوة ونقطة مضيئة في تاريخنا، وثورته هي الثورة الأنصع التي قدمت تضحيات للدفاع عن الحق ولإصلاح الإنسان، وبالتالي فهي قوة جاذبة في الإعلام الولائي.

فلو عرضنا بعض آراء المفكرين والباحثين غير المسلمين على سبيل المثال: ما قاله الباحث الإنكليزي «جون أشر»: في كتابه (رحلة إلى العراق): «إن مأساة الحسين بن علي تنطوي على أسمى معاني الإستشهاد في سبيل العدل الإجتماعي».

وفي رأي آخر للكاتب الإنكليزي «توماس لايل» في كتابه «دخائر العراق»:... ولم يكن هناك أي نوع من الوحشية أو الهمجية، ولم ينعدم الضبط بين الناس فشعرت في تلك اللحظة وخلال مواكب العزاء وما زلت أشعر بأنني توجهت في تلك اللحظة إلى جميع ما هو حسن وممتلىء بالحيوية في الإسلام، بأن الورع الكامن في أولئك الناس والحماسة المتدفقة منهم، بوسعهما أن يهزا العالم هزاً فيما لو وجها توجيهاً صالحاً وانتهجا السبل القويمة، ولا غرو فلهؤلاء الناس واقعية فطرية في شؤون الدين...».

فالثقافة التي يحملها الزوار القادمون من كل بقاع الأرض من كافة الألوان، والأعراق، والجنسيات على أرض كربلاء تتجلى بالخلق الحسن والتهذيب، والإنضباط، هي تأكيد على الولاء والصلة والتقرب والحب لآل بيت النبي محمد صلى الله عليه وآله، حيث نرى أن جميع هؤلاء ينطلقون من منطلق نفسي وجداني تسوده الرحمة لآل محمد صلى الله عليه وآله، التي يتماهى بها كل صادق مخلص في ولايته لهم عليهم السلام، وهذا التقرب والمناجاة، بدوره يفتح عقل الزائر على مصدر الرسالة، وعلى قيم الزيارة الحقيقي. وتصبح مناراً يضيء للناس دروبهم.

لأن الزيارة ليست سياحة أو سفراً عابر يراد منها تغيير الأجواء. وليست طقوساً جامدةً لا تحفل إلى العناء والتعب، وليست مبررات ووقود فتنة بين جماعة المسلمين، وليست مسوغات الرضوخ لحاكم، أو لمؤسسة تفتك بالإنسان تحت يافطة القداسة. أنها الحياة النابضة بالتفاعل بين الإسلام وأتباعه، إنها العهد المتجدَد بين النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام من جهة، وبين من يوالون إحياء فيها، ومن مشروعية الأمر والحث، الذي أكده الأئمة عليهم السلام عليها، وهؤلاء نتيجة هذا الشحن الروحي الذي يبقى يتحرك في داخلهم عند إنتهاء الزيارة يشكل الدافع لمحاربة الباطل والفساد بكافة أشكاله في المجتمعات، هذا الغذاء الروحي هو ذخر لهم لإستمرار السير على النهج الحسيني، واليقظة الدائمة للحفاظ على الذكر المحمدي صلى الله عليه وآله، وبحفظه تحفظ الرسالة حتى ظهور الموعود الحجة المهدي عجل الله فرجه.

ثالثاً- دمج الثقافات والحضارات في زيارة الأربعين:

إن معالم تبيان الاستفادة من ثقافة الحضارات الأُخرى يصل إلى استنتاج، وهو أنَّ الإسلام يهتم بتكوين ثقافة إسلامية مؤمنة للمسلم، ويفتح صدره

لقبول الثقافات البشرية، ويرحب بكلّ حركة فكرية إيجابية، وكلّ تطوير عقلي سليم، فيقتبس هذه الثقافات، ويعتبرها من واجبات الإنسان المسلم في الحياة ورسالته في الكون.

ينطلق الإسلام مع الحضارة المتفاعلة من موقع القوة الجاذبية الحضارية، بل ينطلق من عنصر الثبات مهما علا شأن تلك الحضارة، فالإسلام يتحمل كل جديد، بل الثقافة الإسلامية تحرك الإنسان حركة دائمة نحو التقدم، غير إن عملية الاستيعاب للجديد ترتبط في جعل العناصر الثقافية المكتسبة متكاملة مع الإيمان بالله وبغاية الوجود والعروج نحو المطلق.

من هنا فإنَّ عملية التثاقف مع حضارات أخرى نجده أثناء زيارة الأربعين لا يشبهه أي تفاعل، يكون الأفراد مجردين عن المادة، بل ينحصر الإرتباط عندهم بالإيمان.

إذ لا يغدو الفرد واحداً منفرداً تحركه الغرائز والشهوات، ومنحصراً في بعده الجسماني، وإنما يشكّل الفرد مع غيره واحداً في جسد تتداعى أعضاؤه بالسهر إذا أشتكى فيه عضو واحد، وهو موجود بجسمه وروحه في وحدة متكاملة متفاعلة في حقل العقيدة والإيمان. (جسم واحد وروح واحدة وهدف واحد وشعار واحد «يا حسين») بعيدة عن كل الماديات، تخرق كل الحضارات لتشكل حضارة بحد ذاتها لها قواعدها وأسسها على مر التاريخ. بل تحمل أرقى وأسمى معاني الإنفتاح والحضارة والتقدم والإصلاح، حضارة الحرية والعدالة لما تشكله هذه الواقعة الإنسانية، في علاقات الناس وتعارفهم وتلاحمهم وهذا ينعكس بحد ذاته على تلاحم الشعوب وإندماجها مما يخلق هذا صيغ جديدة للتعاون بين جميع الدول.

إذن عاشوراء الحسين عليه السلام لا حدود ولا حواجز ولا تفضيل لأحد على أحد، إنها توحد البشرية نحو السلام والحق والتخلص من الآفات والفساد، إذ نرى فيها كل معاني ومظاهر التقدم الحضاري، أي ما جاء به الإسلام(الحوار والتعاون والتعايش والتعارف...)،لا وجود لنزاعات وحروب، كل القلوب والنفوس تأتي بقلب صاف،بل تُوظف كل النتاجات الإيجابية للحضارات معاً لأجل هذه الواقعة، ويعودون وهم يحافظون على هذه الثقافة الحضارية الروحية التي لا تفرق بين العربي والعجمي.

خامساً: تبادل الثقافات بين الشعوب من خلال زيارة أربعين الإمام الحسين عليه السلام نموذج (لبنان والعراق)

أ. تعاون الزوار:

لقد وجهنا الإسلام إلى التفاعل مع العمل الجماعي، حيث يكون محط بركة الله كما يقول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: «يد الله مع الجماعة»، ودعوة للتعاضد كما في الآية الكريمة: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾[٢٧] وتوجيهاً نحو التنظيم، كما في وصية الإمام علي عليه السلام «الله الله في نظم أمركم»، وإن مثل هذه المفاهيم نجدها تتجسد في زوار الأربعين، نرى العمل الجماعي، وتوزيع الأدوار والمهام وتنمية المجتمع دينياً وثقافياً، وكذلك طبيعة الإرتباط العقيدي والروحي الذي بدوره يساهم في تفعيل الحفاظ على ديمومة ومواصلة

الثقافة الحسينية، لما تشكله من سمة حضارية تفتقدها المجتمعات.

إن زيارة الأربعين هي معجزة بحد ذاتها تتجدد كل عام، فكيف لهذه الرقعة الجغرافية أن تستطيع إستيعاب هذه الأعداد دون أن تعاني من نقص في المياه لتلبية هؤلاء؟ أو كيف لا يفيض الصرف الصحي في هذه المدة القصيرة من هذا الكم الهائل من البشر؟.

وما هو السر الذي يعمل على ارتباط الناس بعضهم بالبعض الآخر، مشكلين هوية سياسية إعتقادية لم تستطع أي منظمة أو دولة أن تشكل مثلها عبر الأزمان؟.

هذه الزيارة بمضامينها المعلنة مستقاة مما دعا إليه واستشهد لأجلة الإمام الحسين عليه السلام. إنها تاريخ يعيد نفسه كل عام وكأن الحدث ليس بماضٍ بل يعيشون المأساة والمواساة كأنها تحصل الآن، مستمدين طموحاتهم وآمالهم المستقبلية منها. هذه المدرسة العريقة التي أعطت ولا زالت تعطي جملة من المبادىء التي يتوجب الإلتزام بها، حيث يتوحد المسلمون ويتقارب العراقيون وتتضح بوادر ومظاهر الوحدة في الأنشطة المختلفة التي يباشر بها الشباب الحسيني وأهالي المدن العراقية فيستقبلون حشود الزوار من الداخل ومن بلدان العالم كافة، وهم يتوجهون إلى كربلاء المقدسة نحو ضريح الإمام الحسين عليه السلام، لإحياء مراسم الزيارة مساهمة ونصرة منهم للمبادىء التي ثار من أجلها أبو الأحرار.

وهذه الزيارة تعتبر من أهم مظاهر الديمقراطية العراقية بحرية ممارسة العقائد، بل هي عامل مساعد على التقارب فيما بينهم وبين الشعوب والمجتمعات الأخرى، بالأخص فيما يخص تبادل الثقافات وتوحيدها على هذه الرقعة المقدسة مثل نمو وإزدهار حالات التكافل، والتسامح، والتعاون، والقبول بالآخر، وإزدهار التنوع المجتمعي، مع توافر وحدة الموقف، والإلتزام بالضوابط التي تحفظ حقوقهم وكراماتهم، حيث يعمل الجميع على بذل العطاء بما في ذلك تأمين الأمن والحماية للزوار والسهر على رعايتهم وإستقبالهم، حيث يساهم آلاف المتطوعين للخدمات والإرشاد والمراقبة والإستطلاع.

وإن هذا العطاء والبذل لأجل هذه الواقعة ورمزيتها، وأهميتها ليس فقط على أرض العراق، إنما تعمل السفارات الممثلة للعراق في كافة أنحاء العالم على المساهمة والمساعدة للزوار الذين يريدون القدوم لإحياء الزيارة حيث توقع إتفاقيات التعاون بين العراق و مختلف الدول. ومن هذه الدول لبنان حيث يتم التعاون بين البلدين على تسهيل أمور الزوار الوافدين من لبنان إلى العراق لإحياء مراسيم زيارة الأربعين عبر تنسيق إتفاقيات تعاون بين شركات من كلا الدولتين بالعمل على تنظيم أعداد الزائرين وتسهيل أوراقهم القانونية لعبور الدولتين، وتأمين رحلات الطيران من الذهاب إلى الإياب.

واللافت أن السفارة العراقية تسمح لكل من يريد الذهاب لا تستثني المسلمين الشيعة فقط، بل كل من يريد إحياء هذه الذكرى العظيمة، هذا التعاون ليس فقط من الجهات الرسمية بل والأهلية إذ نشهد سنوياً خلال مدة زمنية محددة تنطوي في باطنها عدة نشاطات من مواكب، موحدة لخدمة

زوار الحسين(ع)، ويستمر التعاون بين كلا الشعبين أثناء وصول الوافدين اللبنانيين، حيث يتم تحويل الثقافة الحسينية من معناها وجوهرها العظيم إلى حيز الفعل الإنساني الملموس باليد والمرئي بالعين والمسموع بالأذن، حيث يتفانى الجميع في تقديم الخدمات للزوار وبأرقى صور الحضارة، إذ يستقبل العراقيون الزوار استقبالاً لم نرَ مثله بأي دولة في العالم عبر التاريخ، ليس فقط فتح بيوتهم للزوار وغيرها من الخدمات على أرض كربلاء، بل نرى البعض يغسل أرجل الناس التي تمشي إلى كربلاء، وأن المرء ليعجز عن وصف هذا الترحيب والإستقبال، أيضاً الزوار اللبنانيون يشاركون في تقديم الخدمة للزوار، فيصبح الزائر ضيفاً ومُضيفاً، وهذا يؤكد حالة التعاون والتكافل، ونشر ثقافة التسامح والسبق في العطاء المتبادل واللاعنف، مما يساهم في التلاحم بين أبناء الشعبين، وتبادل الثقافات والعادات الإيجابية. كالمبادرة من الجميع لتقديم الخدمات للغير من دون مقابل مادي أو مصلحي، وأن كل ما يفعلونه بنظرهم لا يُذكر أمام ما قدمهُ الإمام الحسين(ع) إذ ضحى بروحه. وينتج عن هذا تعميق النهج الإيماني، التحرري، التعاوني، المتسامح، بين عموم المسلمين وغيرهم بين هذين الشعبين. وهذه السمات الحضارية التي يفتقدها الكثير من المجتمعات الكبيرة والمتقدمة، رغم كلما توصلت من إختراعات وتأسيس أنظمة متطورة.

واللافت أن ظاهرة الأربعين هذه تزداد كل سنة من كل أقطار العالم لا سيما لبنان حيث بلغ عدد الزائرين في السنة الماضية عام ٢٠١٧ (٧١٧٩٧) زائراً بالتنسيق بين ٢٠ شركة سفر عراقية و٢٣ شركة سفر لبنانية. وهذا الرقم يُعد رقماً لايُستهان به بالنسبة للبنان البلد المتعدد الطوائف والمذاهب، والأبرز أن من الزوار اللبنانيين هناك عدد من المسيحيين. وهذا يؤكد أن الإمام الحسين(ع) إستطاع أن يكون عابراً للطوائف والمذاهب والملل وأن ثورته على الظلم والظالمين ستبقى خالدة ما بقي الدهر.

ب . دور الإعلام اللبناني في الزيارة الأربعينية :

أولاً : دور الإعلام:

إن الأهمية الكبيرة التي تحظى بها زيارة أربعين الإمام الحسين(ع) تأتي من إن هذه المسيرة تتميز بحركتها الإجتماعية الفريدة التي لا تشبهها حركة في مفاصل المجتمعات، وهي تُعد من أهم المنعطفات الثقافية في التاريخ.

فالإعلام يلعب دوراً هاماً في نقل المعلومات والأخبار وسردها وتحليلها، ومثل هذه الواقعة ينبغي أن تكون مورد عناية وتدقيق في معرفة حقيقتها وصدقيتها، بأصغر تفاصيلها وأكبرها، وليست مجرد سرديات لا علاقة لها بعقيدة الناس وحياتهم، بل هي مما يبني في نفوس المتلقين كل أبعاد العقيدة، والقيم، والأحكام الإسلامية بصورتها الحيوية والمتحركة، والمؤثرة النافذة في مرتكزات المجتمع الإسلامي، وهي بذلك تحمل هدفاً تاريخياً ومصيرياً. وإن أول إعلام نقل حقيقة ما جرى في كربلاء هما السيدة زينب والإمام زين العابدين(ع) في خطبهما التي أطلقوها بجموع الناس، والتي تخللها الكلام العقيدي، والوجداني، والسياسي الذي

فيه كل صنوف التحدي والثورة، والإستنهاض الممزوجة بالعواطف الجياشة، وما رافق هذه الخطب من نياحة، وبكاء وعويل وتفجُعات حصلت بين الناس المصغين إلى خطبهاعليها السلام. وكذلك أثناء انتقال آل بيت رسول اللهصلى الله عليه وآله من الشام فالعراق فالمدينة، وطريقة نقلهم للناس ما جرى مع الحسين وأصحابه وأهلهعليهم السلام.

وهنا لا بد من إبراز دور الإعلام في المثابرة والإستمرارية في نقل أحداث الواقعة، منذ تلك الأيام إلى يومنا هذا حيث نرى تنقل زيارة الأربعين كل عام، ويتم تغطية هذه الظاهرة من أغلب وسائل الإعلام المحترمة، وأقصد هنا بكلمة المحترمة التي تغطي كافة الأحداث في العالم ولا تتجاهل مثل هذا الحدث العالمي، كون مهمة الإعلام الحقيقية والخلاقة هي نشر الحقائق والأخبار والآراء عن طريق الوسائل الإعلامية، والهدف من النشر أو البث اللاسلكي هو تزويد الناس أو الجمهور بالمعلومات الصحيحة والصادقة،دون تلفيق أو إخفاء الحقائق مهما كانت طبيعتها وتأثيراتها، لكننا سنوياً نجد العديد من وسائل الإعلام تتغافل عمداً تغطية وعرض هذا الحدث الجماهيري الضخم، وفي مختلف أنحاء العالم العربي والغربي، وعدم تسليط الضوء عليه، رغم أننا نشاهد ونسمع طيلة أيام السنة،كيف تتم تغطية مظاهرة صغيرة لا تتجاوز المئات من الأشخاص في هونغ كونغ أو في فرنسا، أو أي تجمع صغير لعدد من الأشخاص في أي مكان من دول العالم، والمستغرب أن ملايين الأشخاص من كل الفئات العمرية (النساء والشيوخ والأطفال والشباب...) يتواجدون في هذا التجمع العلمي، دون تمييز بين اللون أو الجنسية أو المذهب أو... متزاحمين لبذل العطاء والمحبة، ومتوحدين بالهدف، مجسدين كل صفات السلام والخير في أدائهم، وكيف مثل هذا لا يتم بثه أو عرضه عبر وسائل الإعلام بمختلف أنواعها، فهي بحد ذاتها تعتبر مادة ثرَية لإنتاج الأفلام كونها أضخم ملحمة تاريخية شهدتها الكرة الأرضية، يفوق عدد الزائرين أضعاف المشاركين في مواسم الحج بمكة المكرمة، بل تتميز بمشاركة أشخاص من كافة المذاهب، فالسنة والنصارى والصابئة والإيزديون والمسيحيون يشاركون في تقديم الخدمات للزائرين معتبرين الإمام الحسينعليه السلام رمزاً للتضحية والعطاء والعدل عابراً للحدود والملل.

هذا بالحد الأدنى ما يجب على الإعلام المحترم عرضه بل السَبق في تغطية هذا الحدث، وهذا إن دلَ على شيء فإنه يدل على أن هذا الحدث لا يتناسب مع تطلعات الدول المهيمنة، التي تسعى لسياسة تمزيق الشعوب وإتباع سياسة فرق تسد، بل أن ثمة قوى سياسية تقف وراءها وتمتلك زمام التأثير في توجيه الرأي العالمي، من خلال هيمنتها على إدارة ماكنة الإعلام العالمي مدركين أن هذا الحدث يشكل خطورة بالتصدي للمشروع الصهيوني الأمريكي، المراد به تمزيق الشعوب في المنطقة، والسيطرة على ثرواتها وأملاكها، وبطبيعة الحال هذه المسيرة الضخمة التي ليس لها مثيل في المسيرات السياسية والدينية على مر التاريخ ولازالت، تشكل هاجس خوف لهذه الدول وغيرها، التي تحاك المؤامرات للشعوب، ولاسيما المتبعين لخط ونهج الإمام الحسينعليه السلام، حيث يشعرون

بأن هذه الأعداد الكبيرة لو وجهت نحو الطغاة والمفسدين الذين يهددون السلم الأهلي في هذا العالم،،لحكمت العالم برمته، ذلك لأن هذه الجموع تحمل فكر الحسين(ع)، والدليل أن هذا الفكر لم ولن يُطفأ مادامت البشرية، بل إلى يوم الدين، فالأعداد تكبر والحشود تتعاظم والإيمان يترسخ،والدافع هو الإلتزام بهذا الفكر والنهج الحسيني.

فمنذ الواقعة ما زالت المحاولات لطمس هذا الفكر والقضاء عليه، لكن نور الحق والعدالة والإيمان بالله الواحد الأحد والسير على خطى آل محمد(ص)، نراه يشع يوماً بعد يوم.

ثانياً: دور وسائل الإعلام الفاعلة اللبنانية في نشر الحدث لنشر الإستفادة من حركة مسيرة الأربعين وسماتها العلمية، من أبرزها:

١. تعمل الجهات المختصة أو الشركات التي تتكفل سير عملية الزيارة من الذهاب إلى الإياب، بالتركيز على إستقطاب الزائرين بأكبر عدد ممكن، وذلك عبر وسائل الإعلام التي يستخدمونها للإعلان عن برامجهم السنوية المختصة بزيارة الأربعين، وهي تتميز عن باقي الرحلات أو الزيارات لما تمثله من أهمية.

٢. الإعلان أن مدة الزيارة ليست محصورة بيوم واحد بعينه، وإنما تمتد أياماً معدودة، ليكون المجال مفتوحاً أمام كل من يرغب أن يسجل شعوره تجاه قيم الإنسان، التي تمثلت بمسيرة الإمام الحسين(ع) والمستشهدين بين يديه.

٣. تسليط الضوء على الدور الهام في تمثيل الجميع جسماً واحداً وشعاراً واحداً، وهذا الأمر تعجز عنه أي حكومة في الأرض، رغم تطور الأجهزة لديها والتقنيات والمحفزات، من أن تؤلف بين أبناء مدينة واحدة كما تؤلف ثورة الحسين بين كل الأديان والمذاهب والإنتماءات السياسية وغيرها.

٤. إبراز مبادىء الثورة الحسينية والعمق الأخلاقي في نفوس المجتمع، بتجسيد هذه المعرفة من خلال مسيرة الأربعين، التي تعكس إيمان هذه الجموع وجهوزيتها للتعامل مع القيادة الإلهية بكل وفاء وإخلاص.

لا يقتصر دور الإعلام اللبناني الذي يهتم بهذه الظاهرة فقط على الجهود في الإعلان عن الحملات، بل مواكبة الزوار على أرض كربلاء، حيث نرى أن المراسلين يرافقون الزوار، وينقلون الأحداث، وما يجري في هذه المسيرة الضخمة إلى العالم بشكل صادق وموضوعي وعلمي، لكن تتميز هذه التغطية أن هذا الكادر الإعلامي، لا يمكنه فصل العاطفة عن العلم، فنقل أحداث زيارة الأربعين، ليس كنقل أي معلومة أو خبر، فلا يستطيع أي شخص على أرض كربلاء إلا ويتأثر بهذه الجموع المليئة بالعواطف والحرارة والحب للإمام الحسين(ع)، وهذا بحد ذاته يولد شغف عند المشاهد لمعرفة كربلاء ومعرفة هذا الرجل الذي يجتمع الملايين حباً له.

كما ينبغي لفت الإهتمام بإعطاء حيز إلى الأبعاد الأخرى الجانبية، التي يقوم بها بعض الحملات، التي تبغي إستغلال هذه المناسبة للحصول على الأموال بشكل جنوني، وهذا لا يتناسب مع السمات العلمية

والأخلاقية لمبادىء زيارة الأربعين. ففي كل سنة تشهد الساحة اللبنانية تزاحماً بين أصحاب الحملات على كسب أعداد الزائرين، وإرتفاع التكلفة المادية للزائر الواحد، إلا أن هذا لا يغير الصورة عند محبي الإمام الحسين عليه السلام، حيث نرى أن الأعداد تزداد كل سنة.

نلاحظ أن هناك تفاوتاً كبيراً في أسعار الحملات لزيارة الأربعين، تبدأ من ٦٥٠ دولاراً، وتصل إلى ١٠٠٠ دولار، وكل ذلك يعتمد على مجموعة تفاصيل تتعلق بمستوى الخدمة التي تقدمها كل حملة، بما في ذلك مستوى الفنادق، عدد الكوادر، مرافقة مزور خاص إلى جانب البرامج الروحية.

وبالرغم من شكاوى إرتفاع الأسعار إلا أن الإقبال على الزيارة يشهد هو الآخر زيادة مضطردة، وهو الأمر الذي يتماشى مع منطقية القاعدة الإقتصادية الشهيرة «كلما زاد الطلب ارتفعت الأسعار».

ونجد أسعار الحملات قد واصلت إرتفاعها، متجاوزة حاجز الألف دولار، وربما إستغلال لقلة أعداد الفنادق الفخمة في العراق، عبر زيادة الأسعار، أمام الأعداد الهائلة، أو إستغلال أصحاب الحملات ذلك لجني الكثير من الأموال. والدليل لهذه الأخيرة أنه لماذا هناك من يقنع بربح لا يتجاوز ٦٥٠ دولاراً، فيما البعض يسعى لأكثر من ذلك؟!

الهوامش

(١) المجلسي، بحار الأنوار: ج٤٤ ص٣٢٣.

(٢) القرآن الكريم، سورة الحجرات ص ٤٩.

(٣) القرأن الكريم، سورية البينة، الآية ٥.

(٤) مصباح المتجهد ٧٨٧ :٢، عنه البحار٣٤٨ :٩٨، الوسائل٣:٤٢.

(٥) الأنعام: ١٦٤.

(٦) القمي، جعفر بن محمد، كامل الزيارات، تحقيق جواد القيومي، مؤسسة النشر الإسلامي، دار الفقاهة، قم، ١٤١٧، ص١٠٧.

(٧) المصدر نفسه، ص ١٥٤.

(٨) ابن قولويه، كامل الزيارات، ص ١٢٥-١٢٦.

(٩) المراد بالحائر ما دار سوى المشهد، والمسجد عليه دون ما دار سور البلد عليه، لأن ذلك هو الحائر حقيقة، لأن الحائر في لسان العرب، الموضع المطمئن الذي يحار الماء فيه، أنظر كتاب السرائر للعلامة الحلي، جامعة المدرسين في قم ١٤١٠ هـ.

(١٠) ابن قولويه، كامل الزيارات م. س، ص ٤٥٦.

(١١) كل ما رقق من الحديد من سيف أو سكين أو سنان.

(١٢) الأصفهاني كتاب، مقاتل الطالبيين، ص ٨٠.

(١٣) معهد تحقيقات باقر العلوم عليه السلام، كلمات الإمام الحسين عليه السلام، منظمة الإعلام الإسلامي، قم، ١٤١٦، ص ٣٦٠.

(١٤) بشير رمضان التليسي وجمال هاشم الذويب، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، ط٢، (بيروت، دار المدار الإسلامي، ٢٠٠٤م)، ص١٠٩.

(١٥) محمد جواد أبو القاسمي، نظرية الثقافة، ترجمة: حيدر نجف، ط١، (بيروت، مركز الحضارة لتنمية الفكر

الإسلامي، ٢٠٠٨م)، ص٣٩.

(١٦) بشير رمضان التليسي وجمال هاشم الذويب، مصدر سبق ذكره، ص١٠٩.

(١٧) ول ديو رانت، قصة الحضارة، ترجمة: زكي نجيب محمود، ج١، د.ط، (القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٥م)، ص٥.

(١٨) غسان فوزي طه، النهوض الحضاري في فكر موسى الصدر، ط١، (بيروت، معهد المعارف الحكمية، ٢٠٠٧م)، ص٩.

(١٩) محمد علي مهتدي وآخرون، المشروع الوطني والنهوض المُقاوم عند الإمام موسى الصدر، ط١، (بيروت، معهد المعارف الحكمية، ٢٠٠٧م)، ص٥-٦.

(٢٠) يعقوب ظاهر، مصدر سبق ذكره، ج١، ص١٣٦.

(٢١) المصدر السابق، ص١٣٨.

(٢٢) المركز العربي للمعلومات، المحاضرات، ج٩، ص ١٢.

(٢٣) يعقوب ظاهر، مسيرة الإمام السيد موسى الصدر، مجلد١، ص١٤٠.

(٢٤) المركز العربي للمعلومات، المحاضرات،ج٩، ص١٥-١٦.

(٢٥) يعقوب ظاهر، مصدر سبق ذكره، ج١، ص١٤٣.

(٢٦) المصدر السابق، ص١٤١.

(٢٧) المائدة: ٢.